

الكشاف

فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تعلق له النفس ولا تستقر . وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن . ومنه : ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه . ومنه : أنه مر بطبي حاقف فقال : لا يريه أحد بشيء . فإن قلت : كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق . وكم من مراتب فيه . قلت : ما نفى أن أحد لا يرتاب فيه وإنما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ألا ترى إلى قوله تعالى : " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله " البقرة : فما أبعد وجود الريب منهم وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة . فإن قلت : فهلا قدم الطرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى : " لا فيها غول " الصافات قلت : لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولى الطرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه الريب فيه كما قصد في قوله : " لا فيها غول " تفضيل خمر الجنة على خمر الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل : ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء : " لاريب فيه " بالرفع : والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه . والوقوف على فيه هو المشهور . وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لاريب ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا . ونظيره قوله تعالى : " قالوا لاضير " الشعراء : وقول العرب : لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز . والتقدير : " لاريب فيه " .

فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته . قال ابن القيم : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى " البقرة : وقال تعالى : " لعلى هدى أو في ضلال مبين " سبأ : ويقال : مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله ألا ترى إلى نحو : غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك : فإن قلت : فلم قيل : هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت : هو كقولك للعزير المكرم : أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله : " اهدنا الصراط المستقيم " . ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى : متقين كقول رسول الله ﷺ : " من قتل قتيلا فله سلبه " وعن ابن عباس : " إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتصل الضالة وتكون الحاجة " فسمى المشارف للقتل

والمرض والضلّال : قتيلا ومريضا وضالا . ومنه قوله تعالى : " ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا " نوح : أي صائرا إلى الفجور والكفر . فإن قلت : فهلا قيل هدى للضالين . قلت : لأن الضالين فريقان : فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقيين على الضلالة فبقى أن يكون هدى لهؤلاء فلو جاء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقليل : هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقليل : هدى للمتقين . وأيضاً فقد جعل ذلك سلماً إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده